مقياس الاتصال والفضاء العمومي

السنة الأولى ماستر علم اجتماع الاتصال

2022/2021

مفهوم الفضاء العمومي:

يشير مفهوم الفضاء العمومي إلى الظروف الاجتماعية لإمكانية تشكيل رأي عام. ويشير الأخير إلى المهام النقدية، والتأثيرية وللسيطرة التي يضطلع بها المجال العام إزاء الدولة. إن المجال العام البرجوازي كقوة حرة ومنفتحة، لا يتألف من رعايا الدولة، ولا من وكلاء اقتصاديين خاصين منشغلين بمصالح شخصية، بل يشكلون عموم عقلاني.

كرس مفهوم الفضاء العمومي من قبل الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس في بداية الستينيات من القرن الماضي لوصف تكوين "المجال العام البرجوازي" خلال القرن الثامن عشر في كل من إنجلترا وفرنسا، وألمانيا. المفهوم الذي كان بداية في خدمة السلطة القائمة، ثم طور شيئا فشيئا خطابه الخاص المعارض للأمير. بالنسبة لهابرماس، لكي يشكل الفضاء العمومي الرأي العام، فإنه يجب أن يتمحور على جمهور من الأشخاص المستقلين بشكل ما عن الخطاب المهيمن والقادرين على تشكيل رأي عقلاني من جهة، و من جهة أخرى على فضاء رمزي مفتوح لكل المواطنين والذي تعبر من خلاله الألفكار وتناقش. إن محرك الفضاء العمومي هو استخدام الجمهور للعقلانية، و دعامته الصحافة والنوادي والصالونات.

في كتابه "الفضاء العمومي- حفرية العمومية، كبعد مكون للمجتمع البورجوازي"، قدم هابرماس دراسة سوسيوتاريخية لتحولات بنية الفضاء العمومي البرجوازي منذ بدايته إلى يومنا هذا. يدافع هابرماس في أطروحته عن فكرة الفضاء العمومي

كمقولة فلسفية تبلورت في القرنين السابع عشر والثامن عشر، كما يصف لنا التفكك الذي لحق بهذا المفهوم في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

الكتاب هو في الأصل موضوع أطروحة هابرماس في السوسيولوجيا قدمها عام 1961 بجامعة ماربورغ بألمانيا، وهو عبارة عن دراسة لبنية ووظيفة النموذج الليبرالي للفضاء العمومي البورجوازي في أوروبا، يحلل فيه ظهور هذا النموذج وتحولاته التاريخية منذ العصر الهليني مرورا بالعصر الروماني حتى العصر الحديث.

يوظف هابرماس مفهوم الأركيولوجيا لرصد مفهوم الفضاء العمومي من جهة تكونه التاريخي؛ تحولاته المرتبطة بالوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي؛ وظيفته الأساس(الحوار الحجاج، الإقناع: أي دوره التواصلي)، تفاعله مع عناصر البنية العامة للمجتمع البرجوازي؛ ارتباطه بالرأي العام، وطرق اشتغاله، واستعمال الجمهور للعقل استعمالا عموميا أو غير عمومي، إما في اتجاه قبول السلطة، االستالب والخضوع والهيمنة(أو ضد السلطة)القوة المضادة.

انتشر مفهوم الفضاء العموم على نطاق واسع بعد ترجمة كتاب هابرماس إلى الإنجليزية في تسعينيات القرن الماضي خاصة في الأوساط الأكاديمية، وقد تناولته تخصصات عديدة، وإن كان هابرماس قد طرح المفهوم بالأساس في إطار مجال العلوم السياسية، للبحث في أسباب تراجع الديمقراطية والمشاركة السياسية في المجتمعات الغربية.

أثار يورغن هابرماس النقاش حول الفضاء العمومي من خلال تتبعه تاريخ هذه الظاهرة من صالونات القرن الثامن عشر إلى المساحات المادية أو الافتراضية المعاصرة حيث يشارك المواطنون في المحادثات المتعلقة بالصالح العام.

والمقصود بالفضاء العمومي، هو أوال وقبل كل شيء، مجال حياتنا االجتمايية حيث يمكن تشكيل شيء من قبيل ال أري العام. ويشترط أن يكون الوصول إلى

المجال العام مفتوحا لجميع المواطنين، ويتعاملون فيه مع المسائل ذات الاهتمام العام دون التعرض للإكراه.

عندما يفحص هابرماس الفضاء العمومي البرجوازي، فإنه لا يقبل تعريفه الذاتي، بل يسعى إلى توضيح الظروف التاريخية التي جعلته في وقت ما ممكنا وفي وقت آخر عفا عليه الزمن. سيركز تحليله بعد ذلك على الظروف، وعلى الأسباب الاجتماعية، وعلى نمط تشغيل التحول. برأي هابرماس، نجحت الطبقات البرجوازية الصاعدة في أوروبا الغربية، من خلال محاربة امتيازات الدولة المطلقة، في إفساح المجال للنقاش بين الدولة والمجتمع المدني. على عكس ما أسماه هابرماس "الدعاية التمثيلية" في فترة القرون الوسطى، والتي كان النبلاء الحاكمون رارضين خلالها عن تقديم مشهد السلطة للناس، يوفر الفضاء العام الجديد للمواطنين إمكانية مناقشة ممارسة سلطة الدولة، وبعبارة أخرى، يتم تحويل الألفراد الذين يستخدمون عقلهم النقدي إلى جمهور. بلغ الفضاء العام البرجوازي، الذي تميز بنقاشات وكتابات "رجال الأدب"، ذروته بين بداية ومنتصف القرن التاسع عشر.

عند استعادة هذا التطور، يؤكد هابرماس على جوانبه الإيجابية، لكنه يسلط الضوء على أحد العيوب الأساسية في النظرة العالمية التي تستخدمها الطبقات البرجوازية لتمثيل نفسها، وهي الشمولية. بالطبع، هناك اختلافات محددة في التطور العام للفضاء العام في ألمانيا وبريطانيا العظمى وفرنسا، ولكن في معظم الحالات نلاحظ أن الحقوق المرتبطة بالمواطنة، أي الولوج إلى الفضاء العام، أو التصويت، ال يمنح للجميع .

تعريف الفضاء العمومي الفضاء العمومي:

بالنسبة لهابرماس هو مكان لتشكيل الرأي العام. ويعرفه بأنه الاستخدام العمومي للعقل داخل المجتمعات البرجوازية .كما يعرفه بأنه مجتمع افتراضي أو خيالي ليس

من الضروري التواجد في مكان معروف أو مميز، فهو مكون من مجموعة من الأفراد لهم سمات مشتركة مجتمعين مع بعضهم كجمهور، ويقومون بوضع وتحديد احتياجات المجتمع مع الدولة، فهو يبرز الآراء والاتجاهات من خلال السلوكيات والحوار، والتي تسعى للتأكيد على الشؤون العامة للدولة. ويمكن فهم المجال العام، حسب هابرماس دائما، كفضاء لأشخاص خاصين مجتمعين على شكل عموم، هؤلاء الأشخاص يدافعون عن هذا الفضاء العمومي المنظم من طرف السلطة، وهم في نفس الوقت ضدها، وذلك من أجل نقاش القواعد العامة للتبادل في ميدان تبادل السلع والعمل الاجتماعي.

المجال الذي بقي خاصا وأهميته ذات بعد عام، وسيط هذا التعارض بين الفضاء العمومي والسلطة هو وسيط أصلي ال سابق تاريخيا، إنه االستخدام العمومي للعقل.

فالقضاء العمومي باعتباره آلية ومتغير مادي أو معنوي (وهذا ما سنراه في هذا التحليل) فيستعمل ويوظف لتنظيم وتسيير المجتمع، لتواجده في جميع مكوناته بأهداف واستراتيجيات وكيفيات إتصالية تفاعلية معينة، حسب طبيعة الهيئة، الفاعلين فيها، مكانها وزمانها. إذ يُتخذ هذا المعنى كمؤشر لتحديد وتحليل فاعلية نشاط وديناميكية العلاقات والممارسات المرتبطة بالإلتزام الجماعي اتجاه المجتمع، ومنه تحديد بوصلة اتجاهه ومساره وقيمتهما بالنسبة للفرد ومستقبله، وبالنسبة للمجتمع وثقل تواجده.

لذلك دُرس وحُلّل وطُرِح مفهوم الفضاء العمومي للنقاش الأكاديمي في العلوم الإنسانية بمختلف التخصصات، وكذا في العلوم التطبيقية (طب، هندسة)، لأنه الترمومتر الذي يقاس بواسطته مدى قيمة مجتمع عن آخر على مستوى:

1) الممارسات والعلاقات بين الحاكم والمحكومين، ومدى فاعلية المشاركة السياسية والديمقراطية وحرية التعبير وتكوين الأحزاب والمنظمات والجمعيات السياسية. وكذا فاعلية ودور الهيئات الحكومية من برلمان وحكومة ووزارات في خدمة وتسيير الشأن العام.

2) الإنتاج والإبداع الثقافي المعنوي والمادي الذي تسوقه وتروجه وسائل الاتصال الجماهيرية كعامل لهذا الابداع، التأثير على المستهلكين لها، ومنه تكوين الرأي العام.

3) المؤسسات الخدماتية العمومية في علاقاتها بالمواطن ودورها في بناء نظام إتصالي تفاعلي تفاهمي بينهما.

4) الهيئات والتشريعات القانونية والدستورية، ومدى فاعليتها واستجاباتها لمتطلبات وتطلعات الأفراد.

5) الإنتاج والإبداع الفكري العلمي ومدى مساهمته في تطوير المجتمع مقارنة بتجسيد هذا الإنتاج في الواقع.

6) العلاقات بين الأفراد داخل مختلف مؤسسات المجتمع، من حيث تأدية كل واحد لدوره ووظيفته لتحقيق الأهداف المسطرة إبتداءا من مؤسسة الأسرة إلى.....

7) المنظومة الإعلامية ودورها في توعية وتكوين الأراء والأفكار والمعتقدات، والتوجهات من جهة ومدى تواجدها في الإنتاج الإعلامي والتكنولوجي من جهة أخرى.

8) الصراعات والنزاعات الإجتماعية أو السياسية أو الدينية أو الأخلاقية القيمية وتأثيراتها على سلوكات وتصرفات الأفراد.

9) الأخلاقيات في الممارسات المهنية والنقابية والسياسية، وكذا الطبية والاجتماعية والاقتصادية.

10) المحيط البيئي والعمراني والجغرافي وكيفيات إستهلاكاته.

فهو كما يقول عنه هابرماس "مشروع مجتمع" ونحن نضيف إلى حين..... كون المجتمع في تغير وتطور مستمرين..

لهـذا إتخـذه مفكـرو الغـرب منطلـق الدراسـة مجتمعـاتهم وحركياتهـا وتحليـل الكيفيـات والاساليب كيف؟ ولماذا؟ وما هي الأسباب والمسببات؟ والنتائج؟ التي انتقل بها مجتمعهم من وضعية إلى أخرى ومن مرحلة إلى أخرى بمحاولة فهم طبيعة التغير والانتقال والتطور. لأنه برز دوره الفعال منذ نشأة المجتمع الحديث في الغرب من جهة، وتطور مناهج وأدوات وأساليب البحث العلمي المؤسس على مرجعيات نظرية ودراسات ميدانية تاريخية وسسيولوجية للكشف عن نوعية انتقالية وتغير وتطور كما قلنا هذا المجتمع من جهة أخرى.

فهو وحدة أو آلية نظرية ومفاهمية وامبراقية ومعيارية وإجرائية ومنهجية لدراسة المجتمعات من حيث جميع تخصصات العلوم الإنسانية وكذا العلوم المادية.

إن الحديث عن مفاهمية مفهوم الفضاء العمومي ذات الاستعمالات الأكاديمية البحثية من جانبها النظري والإمبريقي الإبستمولوجي يقودنا إلى استنطاقه على مستوى دلالاته اللغوية والضمنية المعنوية أو المادية، وذلك بطبيعة الحال حسب طبيعة كل ظاهرة مدروسة في سياقها ومكانها وزمانها، وكذا مرجعية الفاعلين والمؤثرين فيها، لأن الفضاء العمومي كيان حيوي، بنيوي بإيقاعاته ومعانيه وترجماته اللغوية، السيميائية والإبستيمولوجية المعقدة والمختلفة، وهذا ما نريده قيمة للنقاش بين المفكرين فيشكل في حد ذاته منظومة فكرية معرفية، ينقل لنا الخصائص السوسيولوجية النسقية الدلالية للواقع المعاش، لأننا نلاحظ أن هذا المفهوم ينشأ وينمو ويتطور وينضج من خلال منظومة تصورات دالة إلى معاني ورموز محددة، مرتبطة دائما بالمجال النظري والسياق النصي واللغوي والاستعمالي والممارساتي والوظيفي له في أي مجتمع، فهو مثل العملة ذات الوجهين المختلفية المتكاملين والمتربطتين لتأدية مهمة معينة مادية ومعنوية. كما أنه يتغير ويتخذ أشكال وتمظهرات جديدة ومتجددة في الزمان والمكان، نظرا للإفرازات التي ينتجها المجتمع في جميع مراحل سيرورته الإجتماعية العامة، من تطور المؤسسات شكلا ومضمونا ووظيفة، من تطور وسائل الاتصال تكنولوجيا واستعمالا، ودورا من تغير أو تحسين أو تعديل لسلوكات وتصرفات

وأفكار الأفراد في المجتمع، خاصة منهم الفاعلين وقادة الرأي خاصة منهم السياسيون أو المثقفون ورجال الدين والمفكرون والباحثون.

ومن نوعية ووتيرة ودرجة وكيفية ونشاط الحركية الانتقالية، العمر التاريخي . ما هي حاضر ومستقبل أي مجتمع، فهو مرتبط بالديناميكية الإجتماعية للأفراد في تفاعلاتهم وعلاقاتهم وآرائهم بالديناميكية الاجتماعية للمجتمع، في الكيفيات التي يُهيكل بها مؤسساته وعلاقاتها مع الأفراد.

ومنه نرى أن العلاقة وطيدة: تبادلية، تحاورية، اتصالية بين المتغيرات الثلاثة الآتية: الفضاء العمومي كحيز يحتوي ويحمل المتغيرين التاليين: الفرد والاتصال.

المتغير الأول: الفضاء العمومي

المتغير الثاني: الإتصال

المتغيرالثالث: الفرد

جميعهم يعملون من أجل ضمان تسيير الشأن العام من خلال كل المؤسسات والهياكل والتشكيلات والمنشآت التي تكون البناء والنسق العام للمجتمع.

3) **خصائص الفضاء العمومي:**

تتعدد وتتنوع خصائص الفضاء العمومي، حسب تنوع واختلاف أشكاله . تمظهراته . وظائفه . استعمالاته . ميادينه . أهدافه ، وحسب تطور قضايا وإفرازات المجتمع . مؤسساته . الفاعلين فيه، طبيعة الأفراد،.. وغيرها من المتغيرات والآليات التي تطورت وتغيرت عبر مراحل تطور المجتمعات وبنياتها المادية والقيمية.

لذلك نرى أن الفضاء العمومي، قد اتخذ أشكالا ووظائف وكذا أدوارا جديدة ومتجددة مع ما ينتجه المجتمع من معطيات مادية ومعنوية في كل مرة. ولكن يمكن تحديد المعالم والملامح الأساسية التأسيسية التي تميزه وتحدده في مكان وزمان ما.

أ/ فضاء مفتوح للجميع، أي للأفراد الذين يستعملونه من أجل هدف وخدمة أو عمل ما.

ب/ فضاء يتفاعل فيه الأفراد ويتبادلون الأراء والأفكار والعلاقات والنقاشات، بحرية وعلانية.

ج/ يستعمل من أجل تأدية دور ووظيفة معينة ذات المنفعة المشتركة، لتسيير الشأن العام في المجتمع، لذلك يناقش فيه وباستعماله القضايا ذات الاهتمام المشترك.

هـ/ قد يكون ماديا كمؤسسة ومتغير للدراسة أو آلية اتصالية أو أداة منهجية أمبريقية أو مفاهمية، أو نمط، يتمظهر في المجتمع، أو قيمة معنوية، ذات مضامين لها علاقة بالأخلاق حسب طبيعة الظاهرة أو الفاعلين، تتجلى هذه المعطيات في نشاط أو حركية وانتقالية وسيرورة المجتمعات.

ح/ إنه فضاء نشط، ديناميكي، دائم الحركة، يتفاعل في كل مرة مع المتغيرات التي ينتجها المجتمع ما دام هذا الأخير بدوره في جراك دائم.

و/ لا يجب أن يكون مقيدا ومسيطرا عليه من قبل أي نوع من أنواع السلطة، خاصة السلطة الإدارية أو السياسية أو الاقتصادية.

ي/ فضاء عمومي يتطور ويتغير ويتخذ أشكالا وتمظهرات جديدة يتحدد ما يقرره المجتمع من آليات ومؤسسات وقضايا. فمثلا في الميدان الاتصالي الاعلامي تطور وتهيكل بتطور الوسيلة الإعلامية الاتصالية على مستوى الشكل والمضمون والإفرازات.

ر/ يتمحور التفكير الأساسي للفضاء العمومي في:

- كيفية إندماج الفرد في المجتمع

- مشاركة الفرد المواطن في الحياة السياسية

- تعزيز الديمقراطية

ز/ يرتبط الفضاء العمومي ارتباطا قويا بالإتصال وكيفية استعماله وتداوله، وبذلك بالعملية الاتصالية ومكوناتها، بحيث يسبح الفضاء العمومي ويتنفس بفضل وبواسطة وداخل الاتصال، والاتصال بدوره يجد مكانه للتواصل والتحاور والتفاهم وبناء العملية الاتصالية داخل وبواسطة وحول الفضاء العمومي.

أهداف الفضاء العمومي:

تختلف أهداف الفضاء العمومي باختلاف أشكاله وتمظهراته وميادين إشتغاله، وكذا باختلاف نوع النظم السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية والثقافية للمجتمعات، والتي يسبح ويتحرك ضمنها ووفقها.

إلا أنه ومن خلال التعريفات المقدمة لهذا المفهوم، ومن خلال الخصائص التي يتميز بها، وكذا من خلال سيرورته الأنثروبولوجية والسسيولوجية لمختلف تهيكلاته وأدواره كذا وظائفه، نستطيع أن نستنتج الأهداف التالية: إذ يهدف في جميع مراحل تطوره وتطور المجتمعات إلى:

- سيادة القانون والمساواة والعدل بين جميع أفراد المجتمع.
- سيادة النظام الديمقراطي من خلال ترسيخ مبادىء المشاركة السياسية وحق التصويت، وتحقيق الحقوق والواجبات.

- سيادة سلطة الاتصال على جميع مستويات المنظومات الاجتماعية والسياسية المكونة للمجتمع.
- تسيير وتنظيم شؤون الافراد على جميع الأصعدة الحياتية وعلى صعيد علاقاتهم مع السلطة.
- مخاطبة ومساءلة السلطة السياسية على أن تكون مسؤولة في اتخاذ قراراتها وقوانينها التي سوف تطبق على المجتمع.
- ولكن نتساءل هل يمكن للفضاء العمومي أن يحقق كل هذه الأهداف في جميع مراحل وتغير وتطور نمطية ونظامية وفلسفة المجتمعات وأنظمتها السياسية؟.